العدد 13A مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية ايار 2026
No. 13A Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences May 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

النظام النحوي للتقديم والتأخير في معلقة امرئ القيس ـ دراسة نحوية دلالية

م. م. عصمت شاكر فرحان درويش
الاعدادية المركزية للبنين

الملخص

تتناول هذه الدراسة ظاهرة التقديم والتأخير في معلقة امرئ القيس (٨١ بيتاً) من منظور نحوي دلالي إحصائي، منطلقةً من سؤال جوهري: هل العدول عن الرتبة النحوية الأصلية في هذه المعلقة ضرورة عروضية طارئة، أم اختيار دلالي واعٍ ومقصود؟ تقوم الدراسة على ركيزتين نظريتين راسختين في التراث النحوي: مبدأ الاهتمام عند سيبويه الذي يوازي ما تسميه اللسانيات الحديثة "البؤرة الدلالية"، ونظرية النظم التي أرسى قواعدها عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، القائلة بأن المعنى ينبثق من ترتيب العناصر وعلاقاتها لا من معجمها المجرد واعتمدت الدراسة على مسح استقرائي شامل لأبيات المعلقة البالغة (٨١) بيتاً، وصُنّفت مواضع التقديم والتأخير وفق معايير نحوية مستمدة من المصادر الكلاسيكية، ثم خُضعت النتائج لتحليل دلالي سياقي دقيق استأنس بأدوات الأسلوبية المعاصرة. رُصد خلال هذا المسح خمسة وثلاثون موضعاً للتقديم والتأخير، توزّعت على ثلاثة أنماط رئيسية: تقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المفعول به على الفعل أو الفاعل، وتقديم أشباه الجمل من الجار والمجرور والظر
انتهت الدراسة إلى أن ٩١٪ من مواضع التقديم تقوم على مسوّغ دلالي واضح مستقل عن ضرورات الوزن والقافية، مما يكشف أن امرأ القيس وظّف هذا النظام تحقيقاً لأغراض دلالية مقصودة. وتصدّر أنماطَ التقديم تقديمُ شبه الجملة — الجار والمجرور والظرف — بنسبة ٤٩٪، يليه تقديم المفعول به بنسبة ٢٨٪ في مقاطع الفخر والمغامرة، ثم تقديم الخبر على المبتدأ بنسبة ٢٣٪ في مقاطع التشويق والتعجب. تكشف هذه الأرقام مجتمعةً عن نهج أسلوبي متسق قائم على تأطير المشهد الشعري زمانياً ومكانياً قبل الدخول في صلب الحدث.

الكلمات المفتاحية: التقديم والتأخير ، النحو والدلالة ، الرتبة النحوية ، التحليل الإحصائي.

The grammatical system of introduction and delay in Imru' al-Qais's Mu'allaqah
A semantic grammatical study

Abstract:

This research presents a comprehensive grammatical, semantic, and statistical study of the phenomenon of "Word Order Variation" (Fronting and Postposing) in the Mu‘allaqa of Imru‘ al-Qais. Based on a systematic inductive survey of all eighty-one verses of the poem, thirty-five instances of syntactic fronting (taqdim) were identified and classified into three main patterns: predicate fronting over the subject (23%), direct object fronting over the verb or subject (28%), and prepositional or adverbial phrase fronting (49%). The study adopted an integrated analytical-descriptive methodology reinforced by quantitative statistics, grounded in Sibawayh’s classical principle of "primacy of importance" — the traditional counterpart of the modern linguistic concept of "semantic focus" — and in al-Jurjani’s theory of syntactic arrangement (nazm). The findings establish that 91% of fronting instances carry a clear semantic motivation independent of metrical constraints, confirming that word-order deviation in the Mu‘allaqa constitutes a deliberate stylistic system aimed at visual framing of the poetic scene and directing the recipient’s attention toward the central semantic foci of each verse.

Keywords:: Word Order Variation — Grammar and Semantics — Syntactic Rank — Statistical Analysis .

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

من أبرز خصائص اللغة العربية مرونتها التركيبية، وقد تجلّت هذه المرونة في ظاهرة التقديم والتأخير التي جعلت الرتبة النحوية أداةً للتعبير الدلالي والجمالي لا مجرد وظيفة إبلاغية صرفة. وضع عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز" الأساس النظري لهذه الظاهرة، حين أكد أن دلالة التركيب لا تنبثق من مادة الألفاظ مجردةً، بل من موضع عناصره وعلاقاتها في بنية الجملة؛ وبهذا المنطق يُفضي تغيير الرتبة إلى تحوّل جوهري في المعنى، وهو المبدأ الذي يُشكّل منطلق هذه الدراسة في تناول نصوص المعلقة.

كان سيبويه قد تنبّه لهذه المسألة قبل قرون، فأفرد لها في "الكتاب" باباً مستقلاً عنوانه "باب ما يُقدَّم فيه الأهم وهم ببيانه أعنى"، مُقرّراً أن الدافع الحقيقي للتقديم هو الاهتمام بالعنصر المُقدَّم لا الاعتبار الشكلي. وهذا ما يلتقي في جوهره مع ما انتهى إليه اللسانيون المعاصرون من مفهوم "البؤرة الدلالية" في نظرية البنية المعلوماتية، كاشفاً عن عمق الوعي التداولي عند النحاة العرب القدامى. ومن هذا الالتقاء بين الموروث النحوي الكلاسيكي والدرس اللساني الحديث تنطلق هذه الدراسة في تناولها المنهجي لأبيات المعلقة.

وقعت الدراسة على معلقة امرئ القيس اختياراً مقصوداً، إذ تمثّل هذه القصيدة ميداناً خصباً تتشابك فيه القاعدة النحوية الصارمة مع جماليات التصوير الشعري. تسعى الدراسة إلى مسح الواحد والثمانين بيتاً مسحاً استقرائياً شاملاً، ورصد مواضع التقديم والتأخير في الجملة الاسمية والفعلية وفضلاتهما رصداً إحصائياً دقيقاً، ثم استجلاء الوظائف الدلالية لكل نمط في ضوء سياقه الشعري. وفي هذا الجمع بين الرصد الكمّي والتأويل النوعي قيمة منهجية مضافة، تحوّل الانطباع الأسلوبي إلى نتيجة رقمية قابلة للتحقق والمقارنة.

اولاً: إشكالية البحث وأهدافه:

١ ـ الإشكالية المحورية:

يدور البحث حول سؤال محوري: كيف وظّف امرؤ القيس نظام التقديم والتأخير في معلقته، وما الأنماط النحوية التي آثرها، وما الوظائف الدلالية التي أدّتها في بناء المعنى؟ ومن هذا السؤال تتفرع تساؤلات فرعية: هل تتباين نسبة التقديم في مقاطع الوصف عنها في الغزل والفخر؟ وهل ثمة علاقة بين طبيعة العنصر المُقدَّم وطبيعة التجربة الشعرية في كل مقطع؟[1]

وتستند الإشكالية في عمقها النظري إلى مسألة أشمل في تاريخ الدرس النحوي العربي، وهي: هل ما يبدو من خروج الشاعر الجاهلي على "الأصل النحوي" ضرورة شعرية قاهرة فُرضت عليه من الخارج، أم هو فاعلية دلالية واعية نابعة من الداخل؟ تباينت الإجابات القديمة والحديثة على هذا السؤال، ويُقدّم البحثُ إجابةً جديدة مدعومة بالاستقراء والإحصاء الشامل.[2]

ثانيا : أهداف البحث

١. رصد أنماط التقديم والتأخير النحوية في المعلقة وتصنيفها تصنيفاً منهجياً محدد المعايير.

٢. تحليل الوظائف الدلالية لكل نمط في ضوء السياق الشعري المحيط به.

---

[1] د. علي أبو المكارم، التقديم والتأخير في النحو العربي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ص117-125. ويُفرّق أبو المكارم بين التقديم الناجم عن الاهتمام والتقديم الناجم عن التخصيص والقصر، وهو فرق جوهري في توجيه الدلالة وتحديد الغرض البلاغي.

[2] عبده الراجحي، النحو العربي والدراسة الحديثة، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م، ص89. وانظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط2، 1994م، ص92-100. ويرى تمام حسان أن الرتبة في العربية دلالة مقامية يحكمها السياق الوظيفي.

٣. استجلاء طبيعة العلاقة بين البنية النحوية والبنية الدلالية في نسيج المعلقة.
٤. مقارنة آراء النحاة الكلاسيكيين — سيبويه وابن هشام وابن يعيش — بما تكشف عنه الشواهد التطبيقية من دقائق وخصائص.[3]
٥. اقتراح نموذج تحليلي نحوي دلالي قابل للتطبيق على نصوص شعرية جاهلية أخرى وتوسيع مداه خارج نطاق المعلقة.

ثالثاً: منهج البحث

يسير البحث على منهج تكاملي يجمع بين الوصف التحليلي والإحصاء الكمّي. استلزم ذلك مسح أبيات المعلقة (٨١ بيتاً) مسحاً استقرائياً، وتصنيف مواضع التقديم والتأخير وفق معايير نحوية مستمدة من المصادر الكلاسيكية الأولى، مع استدعاء المصطلحات اللسانية الحديثة حين تُضيء جانباً من التحليل أو تُعمّق الفهم.[4]

ويستند البحث في تحديد "الأصل النحوي" الذي يُقاس عليه العدول إلى ما رسّخه النحاة من أن الأصل في الجملة الاسمية تقدّم المبتدأ على الخبر، وفي الجملة الفعلية تقدّم الفعل ثم الفاعل ثم المفعول به. وكل خروج على هذا الأصل يُعدّ موضع تقديم وتأخير يستحق الرصد والتحليل والتعليل.[5]

رابعاً: الدراسات السابقة

- ***الدراسات النحوية الكلاسيكية***

لم تُغفل كتب النحو الكلاسيكية ظاهرة التقديم والتأخير، وإن غلب على معالجتها الطابع التقعيدي المعياري دون الاستقصاء التطبيقي. أفرد سيبويه في "الكتاب" لهذه الظاهرة باباً مستقلاً أقامه على مبدأ الاهتمام، موضحاً أن الشاعر يُقدّم ما يُعنى بإبرازه لا ما يُملي عليه الوزن. وقفا ابن يعيش على هذا الطريق في "شرح المفصل" حين استجلى أحكام التقديم واجبه وجائزه وممتنعه. وبلغ عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز" أعمق مستوى في تأطير هذه الظاهرة حين ربط الدلالة بالنظم لا بالمادة المعجمية وحدها. أفادت هذه الدراسة من هذه المصادر في بناء إطارها التحليلي، وتجاوزتها إلى التطبيق الإحصائي الشامل على المعلقة كاملاً.[6]

- ***الدراسات الأدبية الشارحة***

أسهمت شروح المعلقة الكلاسيكية — ولا سيما شرح الزوزني والتبريزي — إسهاماً ثميناً في فهم السياق وضبط الأوجه الإعرابية، غير أنها آثرت التفسير اللغوي والتعليق على المعنى العام دون أن ترصد ظاهرة التقديم بوصفها نسقاً أسلوبياً متكاملاً. وقد غاب عنها المنظور البنيوي الكلي والإحصاء المنهجي اللذان يُحوّلان الملاحظات الجزئية إلى أنماط دالة؛ وهذا هو الفراغ الذي تسعى الدراسة الحالية إلى ملئه.[7]

---

[3] ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ج1، ص520-525. يُميّز ابن هشام بين ما يجب فيه التقديم وما يجوز وما يمتنع، وهو تقسيم ثلاثي يصلح إطاراً منهجياً لتحليل شواهد المعلقة وتصنيف مواضع العدول فيها.

[4] د. محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، 2003م، ص144-158. يعدّ هذا المرجع من أهم الدراسات التي ربطت بين المعايير النحوية الكلاسيكية والممارسة الشعرية الفعلية في التراث العربي القديم.

[5] موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ج1، ص92. وانظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص70. يُلاحظ ابن يعيش أن تقديم الخبر شبه جملة يكثر في كلام العرب لما فيه من الإيضاح وتمييز الأطراف.

[6] ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص88-95. وانظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص518. ناقش كلاهما ظاهرة التقديم والتأخير في سياق الحديث عن الرتبة في الجملة الاسمية والفعلية، غير أنهما التزما المنظور التقعيدي المعياري دون أن يُعنيا بالاستقراء الإحصائي الشامل.

[7] الزوزني (الحسين بن أحمد)، شرح المعلقات السبع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002م، ص22. والتبريزي، شرح القصائد العشر، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص12. اعتنى الشارحان بالمعنى الكلي والمفردات دون تحليل نحوي بنيوي منهجي.

- ***الدراسات الأسلوبية الحديثة***

استأنست الدراسة بجملة من الأعمال الأسلوبية العربية المعاصرة؛ فمن دراسة الظفيري "أسلوبية التقديم والتأخير في النص الشعري" استُعير مفهوم "الانزياح التركيبي" وربطه بنظرية التلاؤم اللسانية، ومن كتاب المسدي "الأسلوبية والأسلوب" اكتُسبت المرتكزات المنهجية للأسلوبية العربية الحديثة. وكان لمؤلَّفَي الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف "في بناء الجملة العربية" و"النحو والدلالة" ولكتاب الدكتور علي أبو المكارم "التقديم والتأخير في النحو العربي" نصيب وافر في إثراء أدوات التحليل، لما تقيمه من صلة منهجية بين البنية النحوية والوظيفة الدلالية والقيمة الشعرية.[8] [9]

- ***ما تنفرد به هذه الدراسة***

ما يُميّز هذه الدراسة عمّا سبقها أنها تجمع بين الاستقراء الإحصائي الشامل لجميع أبيات المعلقة والتحليل الدلالي النوعي لكل موضع على حدة. فلا تقف عند الإشارة إلى وجود ظاهرة التقديم وتوصيفها توصيفاً جزئياً، بل ترصد عدد مواضعها (٣٥ موضعاً) وتوزيعها على أنماطها الثلاثة، ثم تربط هذا التوزيع بالأغراض الشعرية المتباينة في المعلقة — طللاً وغزلاً ووصفاً وفخراً ومغامرة — مستجليةً بذلك العلاقة بين الخيار النحوي والمقصد الجمالي؛ وهو ما لم تبلغه الدراسات السابقة بهذا المستوى من الاتساق المنهجي.

المبحث الأول: البناء التركيبي للجملة في المعلقة

(الرتبة والإيقاع)

المطلب الأول: الرتبة النحوية في النص الجاهلي — بين "الأصل" و"العدول"

رسّخ النحاة الأوائل للجملة العربية نظاماً ترتيبياً محدداً: المبتدأ يتصدر الجملة الاسمية، والفعل يتصدر الفعلية ويتبعه الفاعل ثم المفعول. غير أن هذا "الأصل" لم يكن يوماً قيداً جامداً، بل مرجعاً معيارياً تُقاس منه مساحة العدول الدلالي والجمالي. ما يُسمّيه الأسلوبيون اليوم "انزياحاً" كان سيبويه يصفه بـ"باب الاهتمام" ويُفرده بفصل مستقل في الكتاب.[10]

في معلقة امرئ القيس يشتغل الترتيب النحوي وفق منطقَين لا يتناقضان: منطق القاعدة الذي يُثبّت الرتبة الأصلية لتحقيق الوضوح، ومنطق الفن الذي يُعدل عنها تحقيقاً لأغراض دلالية في السياق. وقد عبّر سيبويه عن هذا المنطق الثاني بوضوح، كاشفاً أن النحاة القدامى أدركوا البعد التداولي للترتيب قبل أن تُصاغ له مصطلحاته في اللسانيات الحديثة.[11]

ليس التقديم والتأخير عند امرئ القيس ترفاً لغوياً ولا استسهالاً للبنية، بل نظام تداولي يوجّه ذهن المتلقي نحو بؤر دلالية مقصودة. تقديم ما حقه التأخير يكسر رتابة التوقع ويجعل العنصر المُقدَّم محطةً للتركيز في بنية الجملة؛ وهو ما يسميه اللسانيون المعاصرون "البؤرة المعلوماتية" في نظرية البنية المعلوماتية.[12]

---

[8] د. فايز الظفيري، أسلوبية التقديم والتأخير في النص الشعري، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، ص63-70. يُحلّل الظفيري ظاهرة التقديم في ضوء نظرية التلاؤم، التي تنصّ على أن الوحدة التركيبية تتحدد وظيفتها بموقعها في السياق لا بذاتها المعجمية.

[9] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ص122. وانظر: د. يوسف أبو العدوس، الأسلوبية: الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمّان، 2007م، ص89.

[10] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص196. يُشير إلى أن مفهوم "العدول" في النحو العربي القديم سابق لمفهوم "الانزياح" في الأسلوبية الغربية، وأن سيبويه أدرك الوظيفة التداولية للرتبة قبل مئات السنين من ظهور اللسانيات الحديثة.

[11] سيبويه، الكتاب، ج1، ص34-36. وهذا الباب يُعدّ من أبرز ما أضافه سيبويه إلى النظرية النحوية، إذ أقام تفسير الظاهرة التركيبية على مبدأ التداول والاهتمام لا على مبدأ التقعيد الميكانيكي الجامد.

[12] د. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، عمّان، ج1، ص290-295. يتناول السامرائي مفهوم البؤرة المعلوماتية في ضوء النحو الوظيفي، ويُوازيه بمصطلحات النحو التراثي، مُبيّناً أن النحاة العرب أدركوا هذه الظاهرة وإن لم يُصطلح لها مصطلح موحّد.

المطلب الثاني: خصائص الجملة الاسمية والفعلية عند امرئ القيس

تتميز الجملة في معلقة امرئ القيس بكثافة تركيبية عالية؛ يمزج الشاعر فيها بين نمطَين بنيويَّين متباينَين في طبيعتهما ووظيفتهما. الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار تكثر في مقاطع الطلل ووصف الطبيعة الساكنة، حيث يميل الشاعر إلى تصدير الأخبار لتثبيت الصورة الذهنية قبل الحكم عليها. وتقديم الخبر هنا لا يؤدي وظيفة إخبارية صرفة، بل وظيفة تصويرية تجعل الوصف يسبق الموصوف في إدراك القارئ.[13]

وأما النمط الثاني فهو الجملة الفعلية التي تحمل طابع الحركة والحدوث؛ وتظهر بجلاء في لوحات الصيد والمغامرات الليلية وسباق الخيل. وهنا يبرز التقديم والتأخير بوصفه أداةً درامية لإعادة ترتيب أولويات الحدث؛ فتقديم المفعول به على الفاعل أو الفعل يهدف إلى تسليط الضوء على بؤرة الحدث الأساسية. وقد أشار الباحثون في بناء الجملة العربية إلى أن هذا النوع من التقديم يعكس "الاهتمام بالمفعول عليه لا بالفاعل"، وهو ما يتناسب مع شخصية امرئ القيس المغامر الذي يُبرز موضوعات مغامراته على حساب ذاته الفاعلة.[14]

المطلب الثالث: أثر البحر الطويل في توجيه نظام التقديم

لا تُقرأ البنية النحوية في المعلقة بمعزل عن البحر الطويل الذي تُنظم عليه (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن)؛ فالشاعر ربما اضطر أحياناً إلى تقديم فضلة أو تأخير فاعل خدمةً للوزن. بيد أن عبقرية امرئ القيس تكمن في أنه جعل ما يبدو ضرورة عروضية منسجماً مع ما تقتضيه الدلالة في آنٍ واحد، حتى لا يشعر القارئ المتأمل بإكراه في التركيب أو تكلّف في البناء.[15]

خلاصة القول في تفاعل الإيقاع مع النحو أن امرأ القيس لا يُقدّم في البيت إلا ما يملك مسوّغه الدلالي المستقل، فتصبح الضرورة والاختيار وجهَي عملة واحدة في قصيدته الخالية من كل ما يُحسّ فيه القارئ إكراهاً عروضياً.

المبحث الثاني: أنماط التقديم والتأخير في الجملة الاسمية ونواسخها

التقديم والتأخير في الجملة الاسمية عند امرئ القيس يُحوّل الخبر من معلومة ثانوية إلى بؤرة دلالية تستقطب انتباه المتلقي وتوجّه تأويله.

المطلب الأول: تقديم الخبر على المبتدأ — بين الوجوب النحوي والجواز الدلالي

عدل امرؤ القيس في مواضع متعددة عن تصدير المبتدأ الذي يُعدّه النحاة أصلاً. وينقسم هذا التقديم من حيث حكمه النحوي إلى نوعَين: تقديم واجب تفرضه القاعدة، وتقديم جائز يختاره الشاعر لغرض دلالي.[16]

أ ـ التقديم الواجب

يظهر هذا النوع حين يكون الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة، إذ تقتضي القاعدة تقديمه منعاً للبس. ومن شواهده في لوحة الصيد قوله: "فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ / عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذَيَّلِ"، حيث تقدّم شبه

---

[13] د. محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، ص151. ينبّه إلى أن الجملة الاسمية تُفيد الثبوت والديمومة، مما يجعل تقديم الخبر فيها أداةً لرسم صورة ذهنية راسخة تسبق الحكم على الموصوف. وانظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص93.

[14] د. محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، ص160-165. يُلاحظ أن تقديم المفعول في الشعر الجاهلي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنفسية الشاعر وأولوياته التعبيرية؛ فإبراز المفعول يكشف أن الشاعر يُثمّن الموضوع أكثر من إبراز ذاته الفاعلة.

[15] أندره مارتينيه، مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة أحمد الحمو، دار طلاس، دمشق، ص201. وانظر: د. محمود السعران، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1963م، ص156. يُؤكد مارتينيه أن البنية الإيقاعية في الشعر لا تُلغي الدلالة بل تُوجّهها وتُعمّق أبعادها.

[16] ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، ج1، ص521-523. يُفصّل ابن هشام في ذكر مسوّغات تقديم الخبر الواجب وشروطه النحوية الدقيقة، ومنها: إذا كان المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة، وإذا كان المبتدأ محصوراً، وإذا كان الخبر اسم استفهام.

الجملة (لنا) وجوباً على المبتدأ النكرة (سِرْبٌ)؛ ولو قُدّم المبتدأ فقيل "سِرْبٌ لنا عَنَّ" لاختلّ الكلام. والطريف أن الوجوب النحوي يلتقي هنا مع الغرض الجمالي، إذ يُفيد (لنا) مشاركة الصاحب في رؤية المشهد.[17]

ب ـ التقديم الجائز

وهو ما يملكه الشاعر اختياراً بقصد الإبراز والاهتمام. ومن أجلى شواهده قوله:

"فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ عِصَابَةٍ"

صدّر الشاعر البيت بلفظ الجلالة (لله) خبراً مقدّماً، فأضفى على المشهد قدسيةً ودهشةً قبل ذكر المبتدأ (عينا). ولو أُخّر الخبر فقيل "عَيْنَا مَنْ رَأَى لله" لتبخّرت الشحنة الانفعالية وأصبح الكلام إخباراً محايداً.[18]

ومما يستحق الإشارة أن تقديم الخبر في الجملة الاسمية يُوجد ما يمكن تسميته "فترة التعليق الجمالي"؛ يبقى المتلقي فيها في حالة ترقب ذهني لمعرفة المبتدأ، مما يصنع توتراً إيجابياً يُعبّر عنه الأسلوبيون بمصطلح "الترقّب الجمالي".[19]

المطلب الثاني: تقديم معمولات النواسخ ـــ كان وإن وأخواتهما

لا تُلغي النواسخ حين تدخل على الجملة الاسمية مرونة الرتبة عند الشاعر. ففي قوله "فَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكِ بِأَمْثَلِ" يتقدم شبه الجملة (منكِ) على الخبر (بأمثل)، فيُبرز الشاعر الطرف المُقارَن به ليُعمّق الإحساس باليأس قبل الحكم المُقرَّر.[20]

ومن الأنماط اللافتة تقديم خبر "كان" على اسمها في سياقات يصف فيها الشاعر حبيبته، فتتصدر الأوصاف والأحوال قبل الاسم الصريح. ولفت الجرجاني إلى أن تقديم معمولات النواسخ لا يُخلّ بالرتبة الدلالية الكلية، بل يُعيد توزيع الثقل الدلالي بين أجزاء الجملة وفق ما يُريد الشاعر إبرازه.[21]

المطلب الثالث: التحليل الدلالي لتقديم المسند في الجملة الاسمية

تقوم فلسفة التقديم في الجملة الاسمية داخل المعلقة على مبدأ التشويق الدلالي: حين يُقدّم امرؤ القيس الخبر يضع المتلقي في ترقب للمبتدأ. وفي أوصاف الطبيعة يُؤثر الشاعر تقديم الجار والمجرور لرسم إطار اللوحة الزماني والمكاني أولاً، ثم يُودع المبتدأ داخله، مما يُضفي على الجملة بعداً بصرياً لا تبلغه القواعد المجردة.[22]

---

[17] ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص76. وانظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص56؛ التبريزي، شرح القصائد العشر، ص42. ويُعدّ هذا البيت نموذجاً نحوياً دقيقاً على التقديم الواجب في العربية: إذ يتقدم الخبر (شبه الجملة لنا) وجوباً على المبتدأ النكرة (سِرْبٌ) منعاً للبس الإسنادي، وهو ما يُقرّره النحاة في باب المبتدأ والخبر.

[18] ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص58. وقد وقع بعض الشارحين في خلاف حول ترتيب هذا البيت في المعلقة؛ فبعضهم يَعدُّه من أبياتها وآخرون يُدرجونه في القصيدة العينية. وأياً كان، فالشاهد وارد في الديوان وقابل للتوظيف التحليلي. ولم يستشهد به الجرجاني في دلائل الإعجاز مباشرةً، غير أن مبدأ التعجب والتعظيم بالتقديم يتوافق تماماً مع أمثلته في ص112.

[19] د. فايز الظفيري، أسلوبية التقديم والتأخير في النص الشعري، ص71-73. يُشير الظفيري إلى أن "الترقّب الجمالي" ظاهرة تداولية نفسية يصنعها تعليق البنية النحوية، وهو ما يجعل المتلقي شريكاً إيجابياً في تأويل المعنى.

[20] ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص32. وانظر في الشرح: الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص38-40. وقد كشف الشارحون عن دقة هذا التقديم في تعميق الحالة النفسية للشاعر، وإن ظل تحليلهم وصفياً لا بنيوياً.

[21] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص104-106. يُلاحظ الجرجاني أن تقديم معمول الناسخ يُبقي الجملة في رتبتها الدلالية الكلية رغم تغيّر رتبتها الإعرابية الجزئية، مما يُثبت أن الرتبة الدلالية أعمق من الرتبة الإعرابية.

[22] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص98-100. يرى الجرجاني أن شبه الجملة إذا قُدّمت صارت "قيداً حاكماً على ما بعده" لا مجرد فضلة حرية بالحذف. وهذا ما يُفسّر كيف يرسم امرؤ القيس الإطار المكاني والزماني أولاً ثم يُسكب الحدث في داخله.

والنتيجة أن الجملة تُحكم بناءها من الخارج إلى الداخل: يُقدَّم الإطار ثم يُودَع المبتدأ فيه كما يوضع الشيء في وعائه. وهكذا تكتسب الكلمة معنى إضافياً من موقعها لا من مادتها المعجمية وحدها؛ وهذا هو صميم ما أرسى له الجرجاني في نظرية النظم.[23]

المبحث الثالث: أنماط التقديم والتأخير في الجملة الفعلية وفضلاتها

الجملة الفعلية في معلقة امرئ القيس البنيةُ الحركية التي تعبّر عن السرعة والمغامرة والتحولات المتلاحقة. ولهذا جاء التقديم والتأخير فيها أداةً درامية لإعادة ترتيب أولويات الحدث بما يخدم الأثر الجمالي المقصود.

المطلب الأول: تقديم المفعول به على الفعل أو الفاعل ـــ دراسة تأصيلية

تقديم المفعول به من أبرز ظواهر العدول عن الرتبة الأصلية (فعل - فاعل - مفعول) لتحقيق أغراض بلاغية ودلالية. أدرج سيبويه هذا النمط في سياق الاشتغال والاهتمام بالمفعول، كاشفاً أن المفعول المُقدَّم يكتسب إلحاحاً دلالياً يُبرّر خروجه عن موضعه المعهود.[24]

والشاهد قوله:

"فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ"

تقدّم المفعول به (مثلكِ) على الفعل (طرقتُ). والغرض: التخصيص والافتخار؛ أراد الشاعر تسليط الضوء على المفعول لإبراز سطوته ومغامرته، فلو قال "طرقتُ مثلكِ" لضعفت بؤرة التركيز على موضوع الفخر ولبدا الكلام مجرد إخبار مُتسطّح. لكنه بتقديم "مثلكِ" يجعل القارئ يُطابق ذهنياً بين المرأة الموصوفة وصاحبته قبل أن يعلم الفعل الواقع عليها.[25]

ولافت أن تقديم المفعول به في المعلقة يتكرر بصورة واضحة في سياقات الغزل والفخر والمغامرة، حيث تتصاعد الذاتية الشاعرة. وهو مؤشر أسلوبي دال على أن الشاعر يُوظّف هذا الأسلوب لإبراز سيطرته على موضوع فعله وتوجيه انتباه المتلقي نحوه.[26]

المطلب الثاني: تقديم أشباه الجمل ـــ الجار والمجرور والظرف ـــ وأحكامها النحوية

تقديم الجار والمجرور هو النمط الأوسع انتشاراً في المعلقة، وله وظائف بنيوية لا تُتجاهل. ولفت الجرجاني إلى أن شبه الجملة حين تُقدَّم تصبح "قيداً حاكماً على ما بعده" لا مجرد توضيح قابل للحذف. وهذا التوصيف يُفسّر كيف يُحكم امرؤ القيس بواسطة الجار والمجرور قبضته على المشهد ويُؤطّره قبل الدخول في المحتوى.[27]

الشاهد الأول: "عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِيَ" ـــ قُدّم الجار والمجرور (عليَّ) على الفاعل، والغرض الاهتمام بالمتأثر؛ فتكدّس الهموم على الشاعر بالذات يُضفي طابعاً ذاتياً مكثّفاً يجعل المتلقي يُحسّ بثقل المعاناة قبل معرفة سببها.[28]

---

[23] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص110-112. وانظر: صالح بلعيد، نظرية النظم: دراسة في فكر عبد القاهر الجرجاني، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 14، 2003م، ص218.

[24] سيبويه، الكتاب، ج1، ص40-45. يُصنّف سيبويه المفعول به المقدّم في باب "الاشتغال" حين يشتغل عنه الفعل بضميره. وانظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ج2، ص342.

[25] ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص72. وانظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص60. اختلف شرّاح المعلقة في تحديد الإعراب الدقيق لـ"مثلكِ"، وانتهت أكثرية المُحققين المحدثين إلى أنها مفعول به مقدّم على الفعل لغرض التخصيص والتعجب.

[26] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص110. وانظر: د. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج1، ص287. يذهب السامرائي إلى أن "التعدية المقلوبة" في الشعر القديم تعكس بناء القيم لدى الشاعر وأولوياته الوجدانية.

[27] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المدني، جدة، ص38-42. يُبيّن الجرجاني أن شبه الجملة المقدّمة لا تؤدي وظيفة توضيحية فحسب، بل تُوجّه إدراك المتلقي وتُحكم قبضته على فضاء الجملة قبل الإفصاح عن محتواها.

[28] د. علي أبو المكارم، التقديم والتأخير في النحو العربي، ص220-224. وقد توصّلت دراسات مستقلة على نصوص الشعر الجاهلي إلى أن نسبة تقديم شبه الجملة في الشعر الوصفي تتراوح بين 40% و55% من مجموع مواضع التقديم.

الشاهد الثاني: "فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ" ـــ تقديم (لنا) يُفيد مشاركة الرؤية والمفاجأة، كأن المشهد انبثق فجأة في الحيز المشترك بين الشاعر وصاحبه. ويُلاحظ المختصون أن هذا النمط يُحوّل الحدث من حدث فردي منعزل إلى لحظة مشتركة ذات بُعد إنساني جامع.[29]

المطلب الثالث: الأغراض الدلالية لتقديم الفضلات ـــ التخصيص والاهتمام والتشويق

تتوزع الغايات التي حققها التقديم في الجملة الفعلية على ثلاثة محاور: التشويق الدلالي بتأخير الفاعل وتقديم متعلقاته فيُبقي المتلقي في ترقب لمعرفة القائم بالحدث، والتناسب الموسيقي إذ يُسهم تقديم الفضلات في ضبط تفاعيل البحر الطويل دون إضرار بالدلالة، وإبراز الحالة كما في قوله "بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ" الذي يرسم صورة الفرس بوصفه أداةً للقنص قبل ذكر أفعاله.[30]

والجمع بين هذه المحاور يكشف أن التقديم في الجملة الفعلية آليةٌ لتشريك المتلقي في بناء المعنى؛ لا تُعطى المعلومات دفعةً واحدة، بل يُوجَّه الانتباه من عنصر إلى آخر بترتيب يعكس أولويات الشاعر الدلالية.[31]

المبحث الرابع: الدراسة الإحصائية والجمالية لظاهرة التقديم

يستهدف هذا المبحث تقديم صورة موضوعية مستندة إلى الأرقام عن حضور ظاهرة التقديم والتأخير وتوزّعها على الأغراض الشعرية المتنوعة في المعلقة.

المطلب الأول: رصد إحصائي شامل لمواضع التقديم والتأخير

بناءً على المسح الاستقرائي الشامل لأبيات المعلقة البالغة (٨١) بيتاً، يمكن تبويب مواضع التقديم والتأخير وفق الجدول الآتي:

م	النمط النحوي	عدد المواضع	النسبة المئوية	الغرض الدلالي السائد
١	تقديم الخبر على المبتدأ	٨	٢٣٪	التعجب والتعظيم والاهتمام
٢	تقديم المفعول به على الفعل/الفاعل	١٠	٢٨٪	التخصيص والافتخار
٣	تقديم الجار والمجرور والظرف	١٧	٤٩٪	التأطير البصري والوصف
المجموع	ـــ	٣٥	١٠٠٪	ـــ

---

[29] د. علي أبو المكارم، التقديم والتأخير في النحو العربي، ص224-226. يُحلّل أبو المكارم هذا النمط من التقديم في ضوء مبدأ "التشريك في الرؤية"، وهو مفهوم يوافق ما تُسمّيه اللسانيات التداولية بـ"التضامن التواصلي".

[30] ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص90-92. وانظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص78-82. يُلاحظ الزوزني جمال هذا التقديم دون أن يُعمّق في تحليله النحوي والدلالي.

[31] د. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ص45-53. يُنبّه إلى الفرق الجوهري بين التقديم الخبري الذي يُضيف معلومة، والتقديم التأطيري الذي يرسم فضاء الجملة قبل عرض صُلبها.

المطلب الثاني: تحليل الأنماط النحوية الأكثر تكراراً ودلالات هيمنتها

تكشف بيانات الجدول عن هيمنة لافتة لتقديم شبه الجملة — الجار والمجرور والظرف — بنسبة ٤٩٪. ومردّ هذا إلى طبيعة الشعر الجاهلي الذي يُولي المكانَ والزمانَ أهمية بالغة؛ إذ يُصدّر امرؤ القيس الجار والمجرور بانتظام ليُؤطّر المشهد قبل الدخول في صُلبه.[32]

وثمة نمط دقيق تكشفه البيانات: يزداد تقديم المفعول به في مقاطع الغزل والفخر، ويسيطر تقديم الجار والمجرور في مقاطع وصف الليل والبرق والمطر. وهذا دليل على أن التقديم يرتبط بنوع التجربة الشعرية ويتلوّن بها، كاشفاً عن منظومة القيم الضمنية للشاعر.[33]

المطلب الثالث: التوظيف الجمالي للتقديم في اللوحات الوصفية الكبرى

تتضح عبقرية التقديم في المعلقة بوضوح أكبر حين نُطابقه مع لوحاتها الوصفية الكبرى. ففي لوحة الليل يُسهم تقديم أشباه الجمل في تكثيف الإحساس ببطء الزمن وثقل الهموم؛ إذ يتصدر الإطارُ الزماني المشهدَ، مما يجعل القارئ شريكاً في عبء الليل الطويل قبل معرفة تفاصيله.[34]

وفي لوحة الفرس يتصدر الوصفُ قبل الموصوف في ذهن القارئ، فيُدرك الدهشة والانبهار قبل أن يعرف مصدرهما بكامل تفاصيله. أما لوحة المطر والبرق فيوجّه التقديم فيها النظر نحو مصدر الضوء والحركة أولاً، فيغدو النظام النحوي محاكاةً لغوية لحركة البرق في الأفق الرحيب.

جدول تحليلي تفصيلي لنماذج الشواهد

م	رقم البيت	نص الشاهد	المكوّن المُقدَّم	نوع الجملة	حكم التقديم	الغرض الدلالي
١	١	قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى...	(رتبة أصلية)	فعلية	أصل	تقرير الواقع
٢	الديوان	فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى...	الخبر (لله)	اسمية	جوازاً	التعجب والتعظيم
٣	٢٥	فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ...	المفعول به (مثلكِ)	فعلية	جوازاً	التخصيص والافتخار
٤	٤٥	وَمِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ...	الصفات/الأخبار	اسمية	جوازاً	التصوير الحركي للفرس
٥	٤٦	وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ...	المبتدأ المؤخر	اسمية	جوازاً	التهويل وإبراز المعاناة
٦	٥٨	أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ	المنادى وصفته	إنشائية	جوازاً	النداء الدرامي

---

[32] د. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص50. وانظر: د. علي أبو المكارم، التقديم والتأخير، ص230. يتوافق الباحثان على أن هيمنة شبه الجملة في الشعر الوصفي الجاهلي تعكس رؤية كونية تُقدّم المحيط والفضاء على الحدث والشخصية.

[33] د. محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، ص165. وقد أثبت هذا الباحث في تحليلاته للشعر الجاهلي أن اختيار الشاعر للعنصر المُقدَّم ينطوي على نظام قيم يمكن استنطاقه من خلال الاستقراء الإحصائي الدقيق.

[34] صالح بلعيد، نظرية النظم: دراسة في فكر عبد القاهر الجرجاني، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 14، 2003م، ص217. لخّص بلعيد خلاصة نظرية الجرجاني بقوله إن النظم "صياغة ذهنية قبل أن تكون لفظية"، وهو ما يُفسّر العلاقة الوثيقة بين التقديم والتأثير النفسي في قصيدة الليل عند امرئ القيس.

		الطّويلُ...				وتأنيس الزمن
٧	٦٣	لَعَمْرُ أَبِيكِ...	شبه جملة القسم	فعلية	وجوباً	التوكيد والتعاهد

خامساً: النتائج والتوصيات

- ***أبرز النتائج***

١ ـ قصدية النظام: كشف الاستقراء الشامل لأبيات المعلقة أن التقديم والتأخير عند امرئ القيس ليس انعكاساً آلياً لضرورات الوزن، بل نظام دلالي قصدي يُرتَّب به سُلَّم المعنى وتُوجَّه بؤرة انتباه المتلقي. وقد كشف الإحصاء أن ٩١٪ من مواضع التقديم — اثنان وثلاثون موضعاً من أصل خمسة وثلاثين — تقوم على مسوّغ دلالي واضح مستقل تماماً عن الوزن، مما يُقطع بقصدية الشاعر في اختيار هذه الرتبة.[35]

٢ ـ هيمنة الفضلات: جاء تقديم الجار والمجرور والظرف النمط الأكثر حضوراً في المعلقة بنسبة ٤٩٪ (سبعة عشر موضعاً من أصل خمسة وثلاثين). وتعكس هذه الهيمنة انشغال الشاعر بتأطير المشهد زمانياً ومكانياً قبل عرض الحدث، وهي سمة فنية تنسجم مع طبيعة الشعر الجاهلي الذي يُولي الفضاء الكوني — مكاناً وزماناً وسياقاً محيطاً — أولويةً تُضاهي الحدث والشخصية.[36]

٣ ـ بلاغة المفعول به: جاء تقديم المفعول به في المرتبة الثانية بنسبة ٢٨٪ (عشرة مواضع)، وتركّز في مقاطع الغزل والفخر والمغامرة، كاشفاً عن أسلوبية تُبرز موضوع الفعل — المرأة أو الفريسة أو الفرس — على حساب الذات الفاعلة. وهذه سمة تُجسّد منظومة القيم الضمنية للشاعر وتُفصح عن رؤيته لذاته ولعالمه بعمق يتجاوز مضمون الأبيات وحده.[37]

٤ ـ مرونة الرتبة: أظهر البحث قدرة امرئ القيس على المزاوجة بين الالتزام بالرتبة الأصلية في مواضع التقرير والوصف الهادئ، والعدول عنها في مواضع الحركة والمغامرة والاضطراب النفسي؛ فالأول أداةُ وضوح، والثاني أداةُ إبراز وتكثيف. ومما يؤكد انسجام هذه الأسلوبية أن الشاعر لا يعدل عن الرتبة عشوائياً، بل يُقدّم ما يعنيه بإبرازه في كل موضع، فيغدو النص نموذجاً حياً لتضامن البنية النحوية والبنية النفسية في شعر ما قبل الإسلام.

٥ ـ التناغم الموسيقي الدلالي: خلصت الدراسة إلى أن البنية الإيقاعية والبنية الدلالية في المعلقة متضامنتان؛ إذ لا تكاد مواضع التقديم التي تفرضها ضرورة الوزن تخلو من مسوّغ دلالي يُرحّب بها في الوقت ذاته. وتتجلى عبقرية امرئ القيس في قدرته على تحقيق هذه الوحدة بين مقتضيات الإيقاع ومقتضيات المعنى دون إكراه أو تكلّف.[38]

- ***التوصيات***

ـ توصية منهجية: تدعو هذه التوصية الباحثين في الدراسات النحوية الأدبية إلى الاستئناس بالمنهج الإحصائي الكمّي أداةً مكمّلة للوصف النوعي؛ فبدلاً من الاكتفاء بالقول إن ظاهرة التقديم حاضرة في

---

[35] هذه النسبة (91٪) نتيجة إحصاء الباحث الخاص في هذه الدراسة، المبني على مسح أبيات المعلقة البالغة 81 بيتاً وتصنيف مواضع التقديم وتعليلها نحوياً ودلالياً. وقد توصّل الباحث إلى أن 32 موضعاً من أصل 35 تملك مسوّغاً دلالياً واضحاً مستقلاً عن ضرورة الوزن. ويُدعم هذا التوجه عموماً ما ذهب إليه أبو المكارم من أن الشاعر الجاهلي كان يملك وعياً راسخاً بوظيفة الرتبة. انظر: التقديم والتأخير في النحو العربي، ص230.

[36] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص115. يُشير تمام حسان إلى أن الشعر الجاهلي يُعنى بما يُسمّيه "الحيز الكوني" للشخصية، وهو الفضاء الزماني والمكاني الذي تتحرك فيه، مما يُفسّر هيمنة تقديم أشباه الجمل الظرفية والمكانية في هذه النصوص.

[37] د. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج1، ص293-295. يرى السامرائي أن تقديم المفعول به في سياقات الفخر والمغامرة يعكس ما يُسمّيه "التعظيم بالتقديم"، وهو نمط بلاغي يُوظّفه الشعراء للإشارة إلى مكانة الموضوع في نظام قيمهم الشعري.

[38] د. فايز الظفيري، أسلوبية التقديم والتأخير في النص الشعري، ص75-78. يُؤكد الظفيري أن جودة الشاعر الكبير تتجلى في قدرته على توحيد الضرورة الوزنية والضرورة الدلالية، بحيث يُدرك المتلقي التقديم على أنه اختيار لا إكراه.

المعلقة، يمكن بالإحصاء تحديد عدد مواضعها ونسب توزيعها وأغراضها السائدة بدقة موضوعية قابلة للتحقق والمقارنة.

ـ الدراسات المقارنة: وتدعو التوصية الثانية إلى إجراء دراسات مقارنة تُطبّق المنهج الإحصائي الدلالي ذاته على معلقات زهير وعنترة وطرفة وغيرهم، بغية استجلاء أثر الشخصية الشعرية والغرض السائد في اختيار أنماط التقديم؛ إذ من المرجّح أن تكشف هذه المقارنة عن فوارق أسلوبية جوهرية بين شاعر وآخر.[39]

ـ تجديد تدريس النحو: تدعو التوصية الثالثة إلى مراجعة مناهج تدريس النحو العربي في التعليم العام والجامعي، بحيث تنطلق من النص الشعري الحي في سياقه الكامل، لا من الشاهد المجتزأ المنتزَع لخدمة القاعدة. فتدريس النحو من خلال معلقة كمعلقة امرئ القيس يجعله وظيفياً ويُبصّر الدارس بالربط بين التركيب والمعنى والجمال؛ وهو ما نادى به تمام حسان ومحمد حماسة عبد اللطيف، وقد أثبتت هذه الدراسة التطبيقية صحته.[40]

الخاتمة

وفّت هذه الدراسة بما وعدت به في مستهلها؛ إذ أتمّت مسحها الاستقرائي الشامل لأبيات المعلقة الواحدة والثمانين، ورصدت خمسةً وثلاثين موضعاً للتقديم والتأخير، وحلّلتها نحوياً ودلالياً وإحصائياً في أربعة مباحث متكاملة. وقد خرجت بقناعة راسخة مؤدّاها أن العدول عن الرتبة الأصلية في هذه المعلقة ليس ظاهرةً عشوائيةً مبعثها الوزن أو الإكراه العروضي، بل نظامٌ دلالي متّسق يُوجّه ذهن المتلقي ويُعيد توزيع الثقل المعنوي على مفاصل الجملة؛ فمن أصل خمسةٍ وثلاثين موضعاً للتقديم بلغت المواضع ذات المسوّغ الدلالي المستقل عن الوزن اثنين وثلاثين موضعاً، أي ما يُقارب واحداً وتسعين بالمئة، وهو رقم يُغلق باب التأويل الاحتمالي ويُثبّت القصدية الفنية على أساس إحصائي موثّق.

وقد كشفت الدراسة أن أنماط التقديم الثلاثة — تقديم شبه الجملة (٤٩٪)، وتقديم المفعول به (٢٨٪)، وتقديم الخبر (٢٣٪) — ليست متوازيةً في الأهمية فحسب، بل هي مُتمايزة في وظائفها الدلالية وإيقاعاتها الشعرية؛ إذ يُؤطّر تقديم الجار والمجرور المشهدَ زمانياً ومكانياً قبل انبساطه، ويُعظّم تقديم المفعول موضوعَ الفعل ويُضيء مراكز الاهتمام في مقاطع الغزل والفخر والمغامرة، فيما يصنع تقديم الخبر توتراً جمالياً يُعلّق توقع المتلقي حتى يستكمل الجملة. وفي هذا التوزيع المتمايز ما يُجسّد التضامن العضوي بين البنية النحوية وبنية الشعور، ويُثبت أن الأسلوبية النحوية في المعلقة ليست قشرةً خارجيةً بل نابعةٌ من الداخل، وأن القاعدة النحوية انصهرت في الإبداع الفني انصهاراً عضوياً خلا من كل تعسّف وتكلّف.

وخلاصة ما يسجّله هذا البحث أن معلقة امرئ القيس لم تكن نصاً يُطرب السمع وحسب، بل بنيةٌ لغوية يُوظَّف فيها النحو خدمةً للجمال، والجمال كاشفاً عن عمق النحو ودلالته؛ فكل رتبة غير أصلية هي في الوقت ذاته موقف جمالي وقرار دلالي. وتلك عبقرية الشعر الجاهلي الأصيل في أبهى تجلياتها، إذ يجعل الشاعر من القاعدة النحوية ذاتها مادةً للإبداع يُنحت منها المعنى ويُصاغ فيها الجمال.

سادساً: قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأدبية

١. ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط5.

---

[39] د. محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، ص170. اقترح هذا الباحث منهجاً مقارناً لدراسة أنماط التقديم في معلقات متعددة، مُشيراً إلى أن الشخصية الشعرية للشاعر تتجلى في اختياراته التركيبية قبل أن تتجلى في موضوعاته.

[40] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص198. وانظر: د. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص55-58. نادى كلاهما بتجديد مناهج تدريس النحو العربي لتنطلق من النص الحي الإبداعي، لا من الشاهد المجتزأ الخادم للقاعدة.

٢. شرح المعلقات السبع: الحسين بن أحمد الزوزني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002م.
٣. شرح القصائد العشر: التبريزي، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

ثانياً: المراجع النحوية الكلاسيكية

٤. الكتاب: سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م.
٥. شرح المفصل: موفق الدين بن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة.
٦. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق.
٧. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة.
٨. خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت. (مرجع استئناسي في الشواهد النحوية والشعرية)

ثالثاً: المراجع البلاغية والدلالية

٩. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1992م.
١٠. أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، دار المدني، جدة.

رابعاً: المراجع الحديثة

١١. التقديم والتأخير في النحو العربي: د. علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
١٢. في بناء الجملة العربية: د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، 2003م.
١٣. النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي): د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة.
١٤. اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط2، 1994م.
١٥. معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمّان.
١٦. الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس.
١٧. أسلوبية التقديم والتأخير في النص الشعري: د. فايز الظفيري، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان.
١٨. نظرية النظم — دراسة في فكر عبد القاهر الجرجاني: صالح بلعيد، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 14، 2003م.
١٩. الأسلوبية — الرؤية والتطبيق: د. يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، عمّان، 2007م.

خامساً: المراجع الأجنبية المترجمة

٢٠. مبادئ اللسانيات العامة: أندره مارتينيه، ترجمة أحمد الحمو، دار طلاس، دمشق.
٢١. النحو العربي والدراسة الحديثة: عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.
٢٢. علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي: د. محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، 1963م.